المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

# تصور سعادة الإنسان وشقائه في الفلسفتين الكونفوشية والطاوية

**وائل عبد الرحمن عبد العزيز القاسم**

أستاذ محاضر بالكلية التقنية بالمملكة العربية السعودية

باحث دكتوراه في الفلسفة

**الملخص**

تميل المدرستان الطاوية والكونفوشيوسية، إلى جانب مدارس أخرى من الفكر الصيني القديم، إلى الاتفاق على أن أحد أهم "أسباب السعادة" هو تجنب التفكير في الأمور الميتافيزيقية والغيبية، التي يعتقدون أنها تُرهق الناس. وترى الفلسفة الصينية أن السؤال الأساسي الذي يجب على كل إنسان الإجابة عليه عند ولادته في هذا العالم ليس مصيره أو هدفه أو غايته، بل ما ينبغي أن يفعله في حياته على الأرض، والتي لا تتجاوز في المتوسط خمسين أو ستين عامًا.

**الكلمات المفتاحية:** *المدرسة الطاوية، المدرسة الكونفوشيوسية، الميتافيزيقيا، أسباب السعادة، الغيبيات*

## Abstract

The Taoist and Confucian schools of thought, along with other schools of ancient Chinese thought, tend to agree that one of the most significant "reasons for happiness" is to avoid thinking about the metaphysical and invisible, which they believe to be draining for people. Chinese philosophy holds that the primary question that every human being must answer when they are born into this world is not what their destiny, goal, or purpose is, or will be, but rather what they should do with their time on earth, which is, on average, no more than fifty or sixty years.

**Keywords:** Taoism, Confucianism, metaphysics, causes of happiness, metaphysics

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

## مقدمة:

يمكن القول إنّ الحديث عن السعادة في الكونفوشيوسية، يصعب أن يأتي منفصلا عن الأخلاق والسياسة والمجتمع، ولعلّ خلاصة ارتباط كل ذلك بالسعادة يكمن في أنّ الاستقامة والولاء البنوي وطيبة القلب الإنسانية ومراعاة آداب المجتمع، هي خصائص الشخص الأسمى عند الكونفوشيين، أي الشخص الذي طورت إنسانيته، والذي تفتحت مداركه ونضج وعيه، وهذا الشخص الأسمى أو (الإنسان الماجد) هو –عندهم– نقيض الشخص الضئيل أو المنحط، الذي لم تنضج مداركه أخلاقياً، والذي يتصرف بوحي الغريزة، ومن أجل النفع؛ ولذلك نجد كونفوشيوس مقتنعاً بأن العناية بالإنسانية من خلال احترام آداب المجتمع والولاء البنوي والاستقامة سوف تُفضي بالشخص إلى تجسيد شخصي للفضيلة، الأمر الذي سيسفر عن مجتمع سعيد يملؤه السرور ومنظم خير تنظيم، وليس هناك تمييز حاد هنا بين الأخلاق والسياسة، فإذا كان الناس صادقين مع أنفسهم، ويتسمون بالإخلاص فإنهم سيجسدون الفضائل المختلفة، وإذا ما قام كل شخص بهذا، فمن المؤكد أنه ستكون هناك حكومة جيدة ونظام اجتماعي تعمّه السعادة (المرزوقي، 2001).

ويمكن الفهم من ذلك أن الفلسفة الكونفوشية هي فلسفة تقول ببساطة: إذا نجحنا في زيادة عدد الأفراد الذين تنطبق عليهم مواصفات **(الإنسان الأسمى)**، فإنّ ذلك سيؤدي بالضرورة إلى مجتمع منظم تعمه الفضائل ويكثر فيه الفضلاء، وهذا سيؤدي بالمجتمع إلى السعادة، وهذا كله سيستلزم بالضرورة وجود حكومة حسنة أو مميزة، تساهم في زيادة السعادة التي وصل إليها المجتمع من خلال الفضائل الموجودة عند أفراده. وهذا كله يؤكد أنّ تركيز الكونفوشية على الإنسان كفرد، وعلى تعزيز جوانب الخير والاستقامة فيه، لا يقل عن اهتمامها بالمجتمع ككيان يجمع في داخله أفراده.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

**أولاً– تصور السعادة وارتباطها بالسياسة في الفلسفة الكونفوشية:**

يمكن القول أن هنالك علاقة قوية بين الحكومة والسعادة إلى درجة جعلت كونفوشيوس يُعرّف الحكومة الصالحة بأنها الحكومة التي تعمل على إسعاد الناس، من خلال توفير ما يسعدهم لهم، وعلى رأس ذلك عنده (المساواة) ولعل ولادته في ظروف سيئة كان لها تأثير كبير في هذا الاتجاه، فقد رأى كونفوشيوس أيضًا أنّ الأشخاص الذين كانوا يولدون ولهم حق وراثي في منصب رفيع ومن أصل نبيل، غالباً ما يسلكون سلوك الحيوانات أو الحمقى بينما غيرهم الذين لم تتوافر لهم مثل هذه الامتيازات غالباً ما يكون سلوكهم الشخصي جديراً بالاحترام. ولاحظ أنّ كافة الأشخاص وإن اختلفوا في تعريف السعادة فإنهم يطلبونها، ولمّا لم يكن هناك في خلفيته أي مذهب ديني أو فلسفي يضم أو يضمن تلك السعادة أو الرغبة فيها، لذلك كان يعتقد أنه يجب أن يحصل الناس بقدر المستطاع على ما يريدون من حكومتهم. ومع ذلك فقد كان يرى في كل ما حوله أن عامة الناس بوجه عام ليسوا سعداء، فقد كانت الجماهير في فاقة، وكانوا يموتون جوعاً أحياناً، وقد يحل بهم عسف الحرب والأرستوقراطيين، ومع ذلك فلم يكن الأرستوقراطيون ينعمون دائماً بالكثير من السعادة بأساليبهم الشاذة، وغالباً القلقة في الحياة. كان هنا إذن هدف واضح عند كونفوشيوس: إسعاد الحكومة للناس من خلال منحهم ما يريدون، وكل ذلك هو سبب تعريفه الحكومة الصالحة بأنها التي تسعد رعيتها (كريل، 1971).

فالسعادة عند كونفوشيوس هي (الخير)، وتحقيق هذا الخير وطيد الصلة بالسياسة الفاضلة للحكومة الصالحة، التي تعمل على سعادة الشعب بوصفه المصدر الأساسي للسلطة السياسية، فالحاكم إذا لم ينجح في نيل تأييد عامة الناس، فلن يستمر في الحكم، وسيخسر مكانته وقوته، وسيصبح إنسانًا عاديًا كغيره من الناس، ولذلك يجب عليه إسعاد رعيته بجدية تكفل في النهاية السعادة لجميع الأفراد. ومعنى هذا أنّ وجود الحكومة شرط هام لكفالة السعادة من خلال تحقيق النظام واستقرار الأمور في المجتمع، وفي هذا يقول كونفوشيوس: "إنّ ذات الأمير كالهواء، وذات

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

الجمهور كالعشب، وعندما يمس الهواء العشب، ينحني العشب، ولا يتحقق النظام إلا بالسلطة الصالحة" (رسلان، 1998).

وبالإمكان استيعاب تلك العلاقة بين السياسة والسعادة بشكل آخر، من خلال الصياغة المرقمة التالية، التي يراها الباحث في قمة الإحكام المنطقي، وهي:

1- الهدف الأساسي للحكومة في نظر كونفوشيوس هو تحقيق سعادة ورفاهية كل الشعب.
2- يمكن تحقيق هذا الهدف فقط، عندما تتم إدارة الحكومة بواسطة القادرين المؤهلين للحكم.
3- القدرة على الحكم لا ترتبط بالنسب أو بالمولد أو بالثروة أو بالمكانة الاجتماعية، وإنما تعتمد على الشخصية والمعرفة.

4- يتم الحصول على مثل هذه الشخصية من خلال عملية التعلّم المستمرة.
5- يجب على الحكومة نتيجة لذلك أن يتولّى هؤلاء الأشخاص شؤونها، بعد أن يتم اختيارهم من وسط العامة، وفقاً لقدراتهم الشخصية والمعرفية التي يتم الكشف عنها عبر منهاج التربية.

وبالتالي يظهر أنّ فلسفة كونفوشيوس تنظر للشعب -بوصفه مصدرًا للسلطة- بأنّه قادرٌ على صنع سعادته من خلال من يحكمه، فالنظام السياسي كله لا يجب أن يوجد أو يقوم من الأساس إلاّ من أجل هدف واضح وصريح، وهو تحقيق سعادة الشعب (أحمد، 2000).

وقد وضع كونفوشيوس ضابطًا أو معيارًا أو مقياسًا يراه الباحث دقيقاً في قياس مدى صلاح الحكومة وقدرتها على تحقيق سعادة الشعب، وهو: "عندما يكون الحكم صالحاً فإنّ السعادة تتحقق في المجتمع، وكل الغرباء يرغبون العيش فيه، إذ تكون الحكومة صالحة إذا ما كان الخاضعون لسلطانها سعداء، والبعيدون عنها تواقين للانضواء تحت لوائها" (عبدالحي، 1999). والمعنى ببساطة هو أنّ الغرباء الذين يعيشون في مجتمعات أخرى خارج سلطة هذه الحكومة إذا شعروا برغبة وشوق إلى الدخول تحت لواء هذه الحكومة والعيش في المجتمع الذي تشمله

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

سلطتها، فإنّ هذا يدل بلا شك على أنّ هذه الحكومة نجحت في تحقيق السعادة والرفاهية لشعبها.

وبالإضافة إلى ذلك، نجد أنّ السعادة المنشودة في الكونفوشية ذات مفهوم جماعي من خلال الأفراد أنفسهم، والمعنى ببساطة هو أنّنا إذا زرعنا في الفرد الرغبة في العمل من أجل سعادة الجميع، وقام كل فرد بواجبه في هذا الاتجاه، فإننا سنكون أكثر اقترابًا من جلب سعادة عامة يحيا الجميع حياة طيبة في ظلها، وهذه المسألة مرتبطة عند كونفوشيوس بفكرة **(تبادل الأخذ والعطاء)**، التي عرَّفها ذات مرة على أنها: "ألا تفعل بالغير ما لا يريد المرء أن يفعلوه به"، وذكر نفس الفكرة بصورة أكثر إيجابية فقال: "الرجل الفاضل حقاً هو من يرغب في تثبيت أقدام الناس كما يرغب في تثبيت قدميه، يريد لنفسه النجاح والسعادة ويكافح ليساعد الآخرين لينجحوا، ويجد في أمنيات قلبه المبدأ لسلوكه تجاه الغير في منهج من الفضيلة الحقة". فقد آمن كونفوشيوس بأن الإنسانية يمكن أن تجد السعادة فقط في صورة مجتمع تعاوني لأناس أحرار، يعرف كلٌ فرد منهم واجباته وحدوده جيدًا.. ولذلك قال: "إذا لم يسائل المرء نفسه باستمرار: ما هو الشيء الصواب الذي يجب أن يؤديه؟ فإنني لا أعرف في الحقيقة ما الذي سيلُم به" (كريل، 1971).

ولعل من أهم الزبد المركزة العامة التي يمكن إيرادها عن السعادة في الكونفوشية، أنّ جوهر تعاليم كونفوشيوس التي تحقق السعادة في نظره، يُعبّر عنها هو نفسه بقوله: "إنّ الشخص من خلال تطويره لجوانبه لإنسانيته الداخلية يمكن أن يصبح عظيمًا في السلوك الشخصي والحياة الخاصة، وكذلك في العلاقات مع الآخرين؛ وعندما يقوم كل الأفراد بذلك، فإن الخير سينتشر في المجتمع والسعادة ستتحقق" (كولر، 1995).

وللسعادة عند الكونفوشيين ارتباط بما يسميه كونفوشيوس **(ضرورة التربية العامة الشاملة)** فكل الناس يريدون السعادة، وغالبيتنا نريد أن نرى أولئك الذين حولنا سعداء ولكن معظمنا سيسلك سلوكاً أحمقاً فيختار متعة عاجلة أقل أثراً بدلاً من متعة آجلة أعظم أثراً. فنحن نتعامل بوجه عام بطريقة غير اجتماعية، مفضلين الحفاظ على سعادتنا الشخصية حتى لو كانت على حساب

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

سعادة غيرنا. ولتصحيح هذه الاتجاهات ولتثقيف الناس وجعلهم اشتراكيين اعترف كونفوشيوس بوضوح، وأصرَّ إلى حد ما من وقت لآخر على ضرورة التربية العامة الشاملة، واعتبر حق المواطنة المستنيرة أساسًا ضروريًا للدولة، والعقاب قد يضطر الناس مؤقتاً إلى أن يفعلوا ما ينبغي عليهم أن يفعلوه، ولكنه في أحسن حالاته، بديل سقيم لا يمكن الاعتماد عليه في التربية. لقد قال: "لو حاول فرد أن يرشد الناس عن طريق سن القوانين، ويحافظ على النظام عن طريق فرض العقوبات، فسيسعى الناس لتجنب العقوبات فحسب دون أن يكون عندهم إدراك للالتزام الأخلاقي، ولكن لو أن فردًا قادهم عن طريق الفضيلة (سواء عن طريق الإدراك أو عن طريق القدوة) واعتمد على الـ (لي) في الحفاظ على النظام، لأحسن الناس إذن بالتزامهم الأخلاقي بأن يقوموا بها بأنفسهم (كريل، 1971).

**ثانياً– تصور السعادة وارتباطها بالفنون والمعرفة الأخلاقية عند كونفوشيوس:**

وللسعادة والراحة النفسية علاقة وطيدة بالموسيقى في الكونفوشية، فالموسيقى والألحان عند كونفوشيوس تصدر عن النفس أو القلب، والقلب عنده مشتملٌ على أوتار مختلفة، يرتبط كل منها بانفعال نفسي معين، فعندما تمس الحوادث الجارية وتراً من هذه الأوتار، فإنّ الإنسان يُعبّر عنها بشكل معين ومنظم تنظيماً خاصاً: فالنغم اللطيف الرقيق هو نتيجة تأثير الأحداث على وتر الحب. والنغم القوي المرتفع الخشن ينشأ نتيجة تأثر وتر الغضب. والنغم الهادي البسيط النقي هو نتيجة مس الأحداث لوتر التقوى والتعبد. أما النغم الحزين الكئيب فينشأ نتيجة لتأثر وتر الحزن، وينشأ النغم البهيج نتيجة لتأثر وتر الفرح، والنغم الهادي نتيجة لتأثر وتر الارتياح بهذه الأحداث. فكونفوشيوس يرى أن هذه الأنغام الستة لا تحدث بشكل تلقائي أو عشوائي، وإنما تنشأ نتيجة لتأثر الإنسان بالظروف التي تحيط به في العالم الخارجي، ومن هنا فإن الموسيقي تعتبر خير معبّر عن أحوال النفس الإنسانية وما يحيط بها من أحداث (رسلان، 1998).

ولأنّ الأنغام الموسيقية تؤثر على الحالات النفسية، فبالإمكان استخدامها لتهدئة النفوس مثلاً وتحقيق الطمأنينة، وبهذا تساهم الموسيقى في السعادة. كما تسهم في السعادة أيضًا من خلال

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

قدرتها على تحسين العلاقات والتضامن الاجتماعي بين الأفراد، فالموسيقى الهادئة تعبر عن شعب سعيد يعيش الرخاء والسلام، وبالعكس موسيقى الشعوب التي تعمّها الفوضى موسيقى مضطربة. كما أنّ الموسيقى عند كونفوشيوس ترتبط بسعادة القلب وسروره ارتباطاً وثيقاً، وفي هذا يقول: "إذا أتقن الإنسان الموسيقى، وقوّم عقله وقلبه بمقتضاها وعلى هديها، تطهر قلبه وصار قلبه طبيعياً سليماً ورقيقاً، عامراً بالإخلاص والوفاء، يغمره السرور والبهجة" (رسلان، 1998).

ولما كان الجمال مرتبطاً عنده بالخير، فإنّ الموسيقى بمساعدتها الأفراد على حب الجمال وتذوقه، فإنها تساعدهم في نفس الوقت على حب الخير وإتيانه. ولا شك أنّ إتيان الخير وحب الجمال يساهمان في تحقيق السعادة أيضا في نظر الباحث، ولذلك أوجب كونفوشيوس تعليم الموسيقى للناس أجمعين (الشهراني، 2011).

ومما يكشف عن أصالة فكر كونفوشيوس هو توظيفه الموسيقى خاصة، والفنون بصفة عامة مثل الشعر والغناء لخدمة المجتمع وعلاج مرضاه. فالموسيقى عنده ليست مجرد "ترف عقلي" أو مجرد لذة فردية أو استمتاع ذاتي، بل تستهدف القضاء على الأمراض الاجتماعية بإشاعة الوئام محل الخصام، والمحبة والرحمة والعدل محل الكراهية والقسوة والظلم، وبهذا سبق أرسطو فيما قام به من بعد ذلك في العصر القديم، وابن سينا في العصر الوسيط من حيث استخدام الموسيقى في التطهير النفسي. ولذلك على الأفراد –حسب الكونفوشية– أن يتعلموا الموسيقى؛ لأنها تؤدي بهم إلى مداواة أنفسهم من الأمراض وتجعلهم أقرب للسعادة (رسلان، 1998).

ومن ناحية أخرى، ترتبط السعادة أيضًا بالمعرفة عند الكونفوشيين، فالمعرفة الحقة لها دور في الوصول لانسجام المجتمع وتحقيق الطمأنينة والسرور، ووفقا لكونفوشيوس فإنّ (المعرفة الحقة) تنشأ عندما تتم معرفة جذر الأشياء أو أساسها، ومن ذلك –فيما يلامس السعادة– أنّ المرء يجب عليه أن يقضي على الشر بالقضاء على أسبابه، فالمرء إذا عرف الأسباب الأساسية للجرائم، فإنه سيكون من الممكن القضاء على الجريمة ذاتها، وبالتالي يساهم في تحقيق الأمن والسعادة

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

لمجتمعه. ومن أهم المعارف التي تساهم في السعادة أيضًا معرفة الناس، ومعرفة المبادئ التي على أساسها يتصرف المرء مع غيره، فمن يمتلك ناصية المعرفة الذاتية لن يخدع نفسه فيما يتعلق بدوافع أفعاله والمبادئ التي تحكمها. لن يخدع نفسه ولن يخدع غيره، فالناس –مثلاً– لا ينبغي أن يحاولوا خداع أنفسهم بأنهم إذا فعلوا شيئاً سيئاً في خلوة فإنه ما من أحد سيعرف ذلك، وبالتالي فلا بأس من فعله؛ لأنّ الفعل الخاطئ سيُعرف من يقترفه مهما حاول إخفاءه، وسرعان ما ستُعرف النتائج بدورها، وفساد الشخصية الخاصة لا يظل شيئًا خاصًا بصورة خالصة، ذلك أنّ الشخص لا يحيا في عزلة وإنما يؤثر في مجموعة البشر بأسرها ويتأثر بها (كولر، 1995).

فالشر وارتكاب الجرائم والأفعال السيئة من أسباب الهم والقلق التي تحبط وتتعب قلب الإنسان، فحينما تُمزق ألوان الهموم والقلق شخصًا ما، أو تقهره العواطف، فإن قلبه يضطرب، فلا يكون في وضع يتيح له اتخاذ قرارات عادلة ومنصفة حول أي موضوع. ومن ناحية أخرى فإنه عندما يُعاد النشاط والهدوء للقلب بفعل الخير والأعمال الحسنة، فإنّ المرء يتجنب التجاوزات وألوان القصور، التي تؤثر في مقدرته على اتخاذ القرارات الصحيحة، وذلك هو السبب في قول كونفوشيوس: "إنّ رعاية حياة المرء الشخصية تعتمد على إعادة النشاط إلى قلبه". فبالموقف السليم من الحياة سيظل المرء هادئاً حتى في غمار النشوة والألم، وسيكون بمقدوره أن يحيا حياة شخصية سارّة وصالحة. وللأبوين دور في هذا من بداية تنشئة الطفل، فإذا قام الأبوان برعاية حياتيهما الشخصيتين فإنّ بمقدورهما أن تكون لهما عائلة توجد فيها علاقات سليمة وحياة ملتزمة بمبدأ (الجين الأخلاقي)، وعندما تسلك العائلة طريق جين سيسود الانسجام في البيت، وإذا ساد الانسجام كل البيوت فإنّ المجتمع بأسره سيسوده الانسجام فيصبح مجتمعًا سعيدًا (كولر، 1995).

كما أنّ السعادة في الكونفوشية مرتبطة أيضًا بمسألة **(الرخاء والخراب)** وقد سأل رجل كونفوشيوس: هل هناك قول يمكن أن يقود الدولة للرخاء؟. فقال كونفوشيوس: لا يمكن للقول أن يفعل ذلك، لكن إذا فهم الحاكم صعوبة كونه حاكماً فإن هذا من شأنه أن يقود الدولة للرخاء. ثم

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

سأله الرجل ثانية: هل هناك ما يمكن أن يقود الدولة للخراب؟ قال كونفوشيوس: يقول الناس، لا يسرني بكوني حاكماً إلا الحقيقة القائلة بأنه لا يوجد أحد يعارض ما أقوله ! فإذا كان ما يقوله الحاكم جيداً، ولم يعارضه أحد، فهذا شيء عظيم. ولكن إذا كان ما يقوله سيئاً، ولم يعارضه أحد، فإن هذا من شأنه أن يقود الدولة للخراب" (كريل، 1971).

وهناك علاقة تربط السعادة بالصداقة عند كونفوشيوس، فالصداقة باعتبارها نوعًا من أرقى أنواع العلاقات الشخصية، تنقلُ الفردَ إلى عالم إنساني صرف يشعر فيه بأنه لا يكون إنساناً إلا بالآخرين ومعهم. إنّها أشبه ما تكون بضرب من الإشعاع الذي يغمر بنوره شتى الذوات الإنسانية. ويكره في الصداقة الزيف والخداع والنفاق والإفراط في المجاملة، والتظاهر بالمودة بهدف ستر المرء كراهيته للآخرين.. وأساس الصداقة الوفاء الذي يوجب على المرء استخدام كل إمكانياته للحفاظ على بقاء الصديق. وتجيز الصداقة تبادل الانتقاد الصادق بين الأصدقاء الأوفياء. وعلى الإنسان أن يحرص على مصادقة الأخيار والابتعاد عن الأشرار، وأن يكون نصحه لصديقه بإخلاص ورِقّة: "انصح صديقك بالإخلاص وأرشده بالبراعة، فإنْ وجدته لا يقبل منك نصيحة فاسكت عن نصحه ولا تعرِّض نفسك للإهانة". ويقسّم كونفوشيوس الصداقة النافعة –التي تساهم في تحقيق السعادة– إلى ثلاثة أنواع: صداقة الصريح، وصداقة الوفي، وصداقة المثقف واسع الاطلاع، وعكس هذا تكون الصداقة ضارة جالبة للتعاسة (رسلان، 1998).

ويمكن القول، في الختام هي أنّ فلسفة كونفوشيوس كلها، تدور حول الإنسان أو الفرد، الذي يسعى كونفوشيوس دائمًا وأبدًا إلى رفع مستوى الإنسانية في داخله، بصورة قد يصح معها القول: إنّ الهدف الكبير الذي اجتهد من أجله هذا الفيلسوف هو ببساطة **(صنع الإنسان العظيم)**، الذي تكون أخلاقه الخاصة على أكمل وجه ممكن، وبالتالي كلما زاد عدد الأفراد العظماء بسلوكياتهم داخل المجتمع، زاد مع ذلك مستوى السعادة (المرزوقي، 2001).

ورغم ورود بعض الأقوال الكونفوشية المتعلقة بالسعادة في ما سبق من هذا المبحث، إلا إنه من الأنسب استخراج بعض النصوص المركزة من كتاب: **confucius says (أقوال**

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

**كونفوشيوس)**، حيث نجد في هذا المصدر عددًا من الأقوال ذات العلاقة بالسعادة على قدر كبير من الأهمية –كأمثلة– ما يلي:

1– نص يؤكد على أنّ الفرح ليس مفيدًا دائمًا، ويسلط الضوء بوضوح على عدد من أمثلة الأفراح المفيدة، وعلى عدد من الأفراح الضارة أيضًا، وهو قول كونفوشيوس: "هناك ثلاثة أفراح مفيدة وثلاثة أفراح ضارة. فرح التأديب وفرح مدح الآخرين وفرح صحبة الأصدقاء الكرام؛ هذه الأفراح الثلاثة مفيدة. أمّا فرح التكبّر والتباهي وفرح التسكع وفرح المآدب؛ فهذه الأفراح الثلاثة ضارة" (تشين، 2008).

2– نصان متتاليان، حول علاقة القلق والحزن بعدم القدرة على العمل، لا بعدم الحصول على الوظيفة، وهما –بالدمج– قول كونفوشيوس: "لا تقلق من عدم وجود الوظيفة، بل من عدم وجود القدرة. إنّ عدم وجود الوظيفة لا يدعو إلى القلق، بل ما يدعو للقلق هو وجود الوظيفة دون امتلاك المؤهلات التي تساعد على القيام بها. لا تهتم إذا لم تكن قدرتك معروفة عند الآخرين، فعدم معرفة الغير بقدرتك لا ضير فيها، بل الضير يكمن في أن لا تكون لديك قدرة في الأصل" (تشين، 2008).

3– نصوص عديدة تربط السعادة بعدد من الفضائل التي تتكرر عند كونفوشيوس، ومنها كأمثلة:

أ– نص قد لا يكون عن السعادة بشكل مباشر، ولكن من خلالها رؤية أنّ كونفوشيوس ربط ثلاث فضائل إنسانية بثلاث نتائج تكوّن مثلثاً سعيدًا، وهو قوله: "العاقل لا يخدع أبدًا، والفاضل لا يقلق أبدًا، والشجاع لا يخاف أبدًا" (تشين، 2008). ولا شك أنّ عدم الخوف وعدم القلق واستحالة الخداع، تنتهي بالإنسان في شكل من أشكال السعادة بنحو أو بآخر.

ب– نص جميل يربط السعادة وطول العمر بالفضيلة والعقل، وهو قوله: "العاقل فرحان بالمياه، بينما الفاضل مرتاح بالجبال. العاقل نشيط، بينما الفاضل هادئ. العاقل سعيد في الحياة، بينما الفاضل مديد العمر".(تشين، 2008)

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

5- نص يربط السعادة بالأخلاق الفاضلة، ويربط -في المقابل- التعاسة وكثرة الهموم بالأخلاق الوضيعة، وهو قول كونفوشيوس: "يكون كريم الأخلاق رحب الصدر، بينما يكون الوضيع مثقلاً بالهموم. يكون كريم الأخلاق هادئ القلب غير متكبّر، بينما يكون الوضيع مغرورًا وطائشاً (تشين، 2008)".

**ثالثاً- تصور السعادة الإنسانية في الفلسفة الطاوية الصينية:**

إن الحديث عن مفهوم السعادة في الفلسفة الكونفوشية يحيل بشكل متسق إلى نفس هذا المفهوم ولكن على تصور الفلسفة الطاوية. فالفلسفة الطاوية هي فلسفة تقوم على عمود رئيسي، هو **(تناغم الإنسان مع الطبيعة)**، والحقيقة هي أنّ هذا العمود مهم جدًا هنا ونحن نتحدث عن فلسفة السعادة والشقاء، بل لن يكون القول التالي من قبيل المبالغة: أنّ هذا هو كل شيء عند الطاويين في هذه المسألة.

فقد كانت الحضارة في نظر الفلسفة الطاوية مصدر المعاناة والشقاء والتعب والهموم والغموم، ويمكن لـ "الطاو" "الطريق" (طريق الطبيعة) فقط أن يعود بالإنسان إلى الهدوء والسعادة والراحة والسكينة، فقد اعتقدوا بأن أولئك الذين ليس لديهم ما يناضلون من أجله هم السعداء حقًا؛ لأنهم لا يمكن أن تصيبهم التعاسة وخيبة الأمل أبدًا (هوخام، 2002). وعلى هذا تكون الحياة الطبيعية البسيطة -التي يجد فيها الإنسان الوقت الكافي للاختلاء بنفسه وتأمل أسرار الوجود وجمال الطبيعة في أماكن خاصة بعيدة عن إزعاج البشر- هي مصدر كل سرور وفرح، وأنّ الانغماس القوي الزائد في صخب وديناميكية الحياة والمجتمع والمدنية والحضارة، جدير بجلب الكثير من الهموم والشقاء لهذا الإنسان.

ولكنّ هذا لا يعني أن يقتل الإنسان كل طموحاته وأحلامه، وأن يتخلى عن كل ما كان يناضل من أجله، وإنما يعني ضرورة الاعتدال في هذا، وعدم المبالغة في الحماس، فالحياة قد لا تستحق ما يفعله بعض البشر، الذين انخرطوا في صخب الحياة الاجتماعية والمدنية إن صح الوصف،

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

بصورة جعلتهم يفقدون لحظات الصفاء والنقاء النفسي التي يتحقق الكثير منها في لحظات العزلة والاختلاء بالنفس والطبيعة. ولذلك يمكن الاتفاق نسبيًا مع الطاويين في قولهم: أنّ الفرد لا يمكن أن ينعم بالهدوء والسكينة عن طريق المجتمع الذي صنعه الإنسان، ولكن عن طريق التكيّف مع نمط الطبيعة بقواها المتوازنة بشكل متبادل، وهناك تعبير عن المثل الأعلى الطاوي للتفاعل التوافقي مع الطبيعة في حلم الفيلسوف تشوانج تسو: "لقد حلمتُ أنا تشوانج تسو ذات مرة بأنني فراشة؛ فراشة تطير هنا وهناك وتستمتع بوقتها كما يحلو لها، ولم تعرف أنها كانت تشوانج تسو، لكنها تنبهت فجأة واكتشفت هناك وقد تملكها الذهول أنها تشوانج تسو، والآن لا أدري: هل هو تشوانج تسو حقاً الذي يحلم بأنه فراشة، أم أن الفراشة هي التي كانت تحلم بأنها تشوانج تسو؟" (هوخام، 2002).

إلاّ أنّه مما يبدو أنّ لاوتسو وجماعته قد بالغوا في أحيان كثيرة –وفق بعض ما يُروى عنهم– في هذه المسألة، إلى الدرجة التي قد يصح فيها النظر إلى هذا المسلك أحيانًا بأنّه مسلك له (وجه اكتئابي) ليس بالبعيد عن الوجه المكتئب الذي يبرز في فلسفة بوذا الهندية.

فهذه المبالغة من الطاويين أوصلتهم –في نظر الباحث– إلى درجة من التبلّد وفقدان الدافعية للعمل والنضال، وغيرهما من مسائل ومتطلبات الحياة التي يرى الباحث أنها ضرورية في حياة كل إنسان، وأنّ التخلي عنها بالكامل مسلك فيه شكل من أشكال الاكتئاب والمرض النفسي بنسبة تقل أو تكثر!.

وزبدة القول في مسألة السعادة والشقاء عند الطاويين، هي أنّ "لاوتسو" يؤكد باستمرار وتكرار، على أن طريقة الحياة التي يجب أن يتبعها الإنسان ليحقق السعادة، هي طريقة الحياة البسيطة، التي يظهر فيها توحّد الإنسان وانسجامه مع "طاو" الطبيعة، فهو يرى في ذلك السبيل إلى السلام على الأرض حيث ينتفي الشقاء والتعاسة وتتحقق الحياة العظيمة للإنسانية جمعاء، كما كانت سائدة في المراحل القديمة؛ وهذا عائد إلى كون لاوتسو قد اعتقد بأن حياة الإنسان في العهود القديمة سادتها البساطة التي جعلت الحياة هنيئة سعيدة. ولم يحصل التغير نحو التعاسة والشقاء

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

برأي لاوتسو، إلا حينما استخدم البشر العقل والتفكير والمعرفة، فخسروا بذلك كل طهارتهم العقلية والخلقية وتحولوا من العيش الطبيعي إلى العيش المصطنع في المدن ؛ وأخذوا بتأليف الكتب وإنشاء الفكر والنظريات المتدخلة في شؤون الطبيعة .هذه هي الأسباب التي أدت –برأي لاوتسو– إلى التعاسة والشقاء ودفعت الفلاسفة إلى البكاء على تعاسة الحياة، وهم بنظره سبب البلاء في الأساس، ولذلك على الإنسان الحكيم أن ينفر من عالم الناس إلى عالم الطبيعة، حيث يجد كل الحكمة والقناعة الهادئة المؤمّنة للسعادة الأبدية (عبدالحي،1999).

ومن المهم أن نشير هنا إلى أنّ كتاب لاوتسو "التاو" احتوى على بعض الوصايا والتعاليم والنصوص ذات العلاقة بالسعادة، ومن أبرزها ما يلي:

1– نصوص عديدة ذات صبغة بوذية، حيث يتفق هنا لاوتسو مع بوذا في أنّ الرغبات الملحّة سبب تعب الإنسان وألمه إن صح التعبير، والنصوص الطاوية صريحة وكثيرة في هذا، ومن أبرزها ثلاثة نصوص هي:

أ– نص يربط الرغبة بقلق القلب، وهو قول لاوتسو: "عدم النظر إلى المرغوبات يمنع تشوّش الفؤاد" (لاو تسو، 1998).

ب– قوله أيضًا: "دائم اللارغبة يرى المحجوب، أمّا دائم الرغبة فلا يرى إلا المشهود.. هذان الاثنان ينبثقان من أصل واحد، هو المدخل لكل الخفيّات" (لاو تسو، 1998).

جـ– وقوله: "ما من خطيئة أعظم من الرغبة، ولا من لعنة ألعن من الجشع، ولا سوء حظ أشد من أن يريد الإنسان لنفسه شيئاً.. من هنا: من يعرف أنّ الكافي هو الكافي يحصل على الكفاية دومًا ويرتاح" (لاو تسو، 1998).

د– نص يرى أنّ (اللافعل) + (قتل الرغبة) = السلام والسكينة للإنسان ولمجتمع الإنسان، وهو قوله: "يقبع التاو في اللافعل؛ ولكن لا شيء يبقى غير مفعول.. إذا الملوك والعامة لزموا ذلك تتطوّر العشرة آلاف شيء تلقائياً، ولو أنّهم لم يبرحوا في حاجة إلى الفعل، لانكفأوا إلى بساطة

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

الجوهر اللامتشكل. فبدون صورة لا تكون رغبة، وبدون رغبة تكون السكينة. وبهذه الطريقة ينعم الإنسان بالسلام" (لاو تسو، 1998).

2- نص يفهم منه أنّه يختصر راحة وخير وسعادة الإنسان في البساطة والاكتفاء بالقليل في كل شيء، وعدم المبالغة في القيام بأي شيء في أي اتجاه، وهو قول لاوتسو: "خير لك أن تقتصر على القليل من الامتلاء حتى النهاية. بالغ في شحذ السكين، تنثلم حافتها حالاً. كدّس الذهب واليشب، فلن تقدر على حمايتها. احتجن الثورة والجاه، تقترب من الكارثة. انسحب عند إنجاز العمل، فهذا هو سبيل السماء" (لاو تسو، 1998).

3- نص يمكن القول إنّه نص السعادة الأبرز في كتاب لاوتسو، حيث جمع خلاصات مركزة تؤدي للإنسان في نظر هذا الفيلسوف إلى الاستقرار والراحة والسلام والسعادة في فهم الباحث، وهو قوله: "تقبّل العار طائعًا. تقبّل الحظ العاثر كظرف بشري. لا تكن مهمومًا بالربح والخسارة. كل ذلك يُدعى (تقبّل العار طائعًا). ماذا تقصد من (تقبّل الحظ العاثر كظرف بشري)؟. الحظ العاثر يأتي من كونك ذا جسد؛ فبدون الجسد كيف يمكن أن يكون الحظ العاثر؟. كن هيناً خشوعًا، يكن لك الحق في رعاية كل الأشياء. أحب العالمين كما تحب نفسك، يمكنك أن تعتني مخلصًا بكل الأشياء. فرّغ نفسك من كل شيء، ودع الذهن يخلد إلى السلام" (لاو تسو ، 1998).

ومن خلال النص السابق، يمكن القول إنّ الإنسان الذي يواجه صعوبات الحياة بسعة صدر وهدوء وقناعة بأنّ هذه هي طبيعتها، والذي يُحبُّ كلَّ العالمين كما يحب نفسه، ويتعامل مع كلِّ الأشياء باللين والخشوع والهدوء، والذي يُفرّغ باله من كل ما يمكن أن يزعجه ويقلقه، هو الإنسان الجدير بتحقيق قدر مرتفع من السعادة وفق الفلسفة الطاوية.

4- وهناك نصّان تم اختيارهم بعناية؛ لأنهما الأكثر اقترابًا من مسألة السعادة، حيث يرد فيهما حديث مباشر عن السعادة والهموم، وهما:

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

أ- قول لاوتسو: "من يمشي الوجيف يعجز عن مواصلة المشي، ومن يعدّد مآثره للناس ليس متنورًا. البار بنفسه لا يبحث عن التبجيل، والمتباهي لا ينجز شيئاً، والمدل بنفسه جزوع. تبعًا لأهل التاو: كل أولئك طعام زائد ومتاع عارض لا يجلب السعادة؛ ولذلك يجانبه أهل التاو (لاو تسو، 1998)".

ب- وقوله أيضًا: "المشدود إلى الأشياء كثير الهموم، ولن يخيب ذو القناعة.. من يعرف كيف ومتى يتوقف لا يتورّط، وسيؤول إلى الأمن والسلام" (لاو تسو، 1998).

**الخاتمَة:**

هناك شبه اتفاق تقريبًا، بين الفلسفتين الكونفوشيوسية والطاوية وغيرهما من تيارات الفكر الصيني القديم، على أنّ من أهم **(أسباب السعادة)** الابتعاد عن التفكير في الغيبيات والماورائيات المتعبة للإنسان في نظرهم، وفي هذا مثلا يقول المفكر الصيني "لن يوتانج" – هو فيلسوف وأديب صيني، ولد عام 1895م، له مؤلفات في الأدب والتاريخ والفلسفة. عاش زمناً في الولايات المتحدة، وشغل فترة منصب الرئيس بجامعة سنغافورة، وتوفي في هونج كونج عام 1976م- في كتابه "أهمية الحياة" الذي قال عنه النقاد أنه احتوى على زبدة الفكر الصيني القديم كله:

"إنّ السؤال الرئيسي الذي يجب أن يواجه كل إنسان يولد في هذا الوجود –حسب الفلسفة الصينية–، ليس هو ما الهدف، أو المصير أو الغاية التي لابد أن أسعى إليها أو سأنتهي إليها، بل ماذا أفعل بفسحة الحياة التي لا تزيد في معدلها عن خمسين أو ستين عاماً؟. والجواب أننا ينبغي أن نرتب أمورنا وحياتنا على أن نصل إلى أقصى قدر من السعادة والتلذذ بالحياة، تماماً كما يفكر الإنسان فيما يعمله إزاء عطلة نهاية الأسبوع، بدلاً من الخيالات الميتافيزيقية عن هدف الوجود" (زكي، 1971).

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

## المراجع

تساي شي تشين، أقوال كونفوشيوس (confucius says)، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة – دبي، ط1، 1429هـ = 2008م.

جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية – القاهرة، ط1، 2001م.

جون كولر، الفكر الشرقي القديم، المجلس الوطني للثقافة والفنون– الكويت، 1995م.

د. عزت زكي، الموت والخلود في الأديان المختلفة، صادر عن الكنيسة الأسقفية، دار الجيل للطباعة – القاهرة،1972م.

د. ناصر بن فلاح الشهراني، الكونفوشيوسية: ماضيها وحاضرها وموقف الإسلام منها، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط1، 1432هـ = 2011م.

صلاح بسيوني رسلان، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1418هـ = 1998م. النسخة الإلكترونية الصادرة عن موقع كتب عربية.

عمر عبد الحي، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط1، 1419هـ = 1999م.

الفيلسوف الصيني لاو– تسو، كتاب التاو تي – تشينغ / إنجيل الحكمة التاوية في الصين، ترجمة وتحقيق فراس السواح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة – دمشق، ط1، 1998م.

هـ. ج. كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، طبعة 1971م.

هالة أبو الفتوح أحمد، فلسفة الأخلاق والسياسة: المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 2000م.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal
العدد الثاني والثمانون شهر 4(2025)
Issue 82, (4) 2025
ISSN: 2617-958X

هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ط1، 2002م.